



# إشكالية عدم فهم التاريخ الإسلامي وتزوير حقائقه

كمال عبد المنعم

كثر التناطول على الإسلام وعلى رسوله ﷺ في العصر الحديث، وزادت الإساءات الموجهة إليه، وتنوعت أشكالها وصورها، حيث استخدمت فيها وسائل شتى، وطرق متعددة، فتارة تكون عن طريق الإعلام المنظم والموجهة، خاصة بعد هذا الانفتاح بالثب الفضاوي، فتخصص قنوات تثبت برامجها ليل نهار لتأصيل الكراهية للدين الإسلامي، وتارة تكون عن طريق ما يعرف بحرية الفكر التي لها مفهوم خاص عند الحاقدين على هذا الدين.. فتؤلف الكتب، وتنشر المقالات، وترسم اللوحات، وتنتج الأفلام، وكلها يصب في معين واحد هو النيل من ديننا الحنيف، وتارة ثالثة عن طريق زعامة الكنيسة، حيث يعلن بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر أن دين الإسلام متعطش إلى ثون الدماء، وأن دعوته قامت على القتل والقهر وكبت الحريات، وكل هذا - ولا شك - افتراء وتدنيس وتزوير للتاريخ الإسلامي العظيم الذي شهد له الأعداء قبل الاتباع، ولا بد أن ندحض ذلك ونردده بالدليل والبرهان، فذلك أدنى حقوق الإسلام علينا.

يفلح الكلام تطور العداء ليصبح إيذاء وقتلا، لدرجة أن النبي ﷺ ناله هذا الإيذاء، وكان النبي ﷺ يرى بنفسه اتباع دينه يعذبون فيكتفي بالشد من أزهرهم قائلًا: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»، وزاد الاتباع ومعهما زاد التكيل بهم، حتى أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرتين، وفي المرة الثانية أعلن المشركون عن أول حالة لتزوير هذا التاريخ وإتهام الإسلام بما ليس فيه، حيث ذهب وفداهم إلى النجاشي ملك الحبشة قائلين له: إنهم أي المسلمين - يقولون في مريم قولاً عظيماً، فلما تأكد النجاشي من كذب وافتراء المشركين أعطى الأمان للمسلمين في العيش داخل مملكته لا يظلمهم أحد، ولا يؤذيه أحد، وعاد المفترقون يجرعون أذيال الخيبة والفشل.

## من هنا نبدأ

حتى نعلم من أين بدأ الالتباس أو التلبس - على الأرجح - نستعرض سويًا كيف كان التعامل المشترك بين الدين الإسلامي والمعادين والمخالفين له في أول الأمر، فحينما نزل الوحي على النبي ﷺ بدأ بدعوة أهل بيته، وأولي القربى، وكان المنتسبون إلى الإسلام يعدون على أصابع اليدين، واستمر ذلك الأمر قرابة ثلاث سنوات يدخل فيها الناس في دين الله أرسالاً، حتى جهر المسلمون بدعوتهم، ومعهما جهر المشركون بعدائهم لدين يسفه أحلامهم، ويحقر من شأن الأصنام التي يعبدونها، وبدأ العداء بالافتراءات على نبي الإسلام ووصفه بأنه ساحر، كاهن، مجنون. كذلك وقع الافتراء على القرآن الكريم بوصفه أساطير الأولين، ولما لم

كاتب صحافي

## التاريخ بين العبث والصيانة

يعد التاريخ من أهم روافد الإرث الذي يحتفل المسلمون والعرب بمشمولاته، ذلك أنه الحافظ للأحداث، والشاهد الحاضر في كل زمن، ومن الأهمية بمكان خطير حياته وحراسته من التغيير والتبديل، ذلك أنه إن أصابته لؤكة التزييف والإفساد أصيب قارئه بضبابية الفهم؛ لكونه يقرأ وجهين أو أكثر للتاريخ.

فكل محب لأي طرف ممن يكتب تاريخه يمجده ويعظمه وينزهه، ويقف سداً منيعاً في وجه التاريخ الثابت الذي يكذب ذلك المجد وتلك العظمة، وكل كاره لطرف ما؛ يكتب عنه وكأنه إبليس اللعين؛ فالحقائق مزورة ومقلوبة ومشوهة؛ إلى حد صعوبة التمييز بين الحقيقة التاريخية والكذبة الزائفة.

إن مقررات العقلاء من المؤرخين والعلماء لتؤكد على أن الأمانة المثالية في كتابة التاريخ تجعله وسيلة ناجعة من وسائل التقدم والرقي، ذلك أن صفحات الماضي يعثرها غلط المواقف وصورها، ولا شك أن اجتناب الغلط وتكرار الصواب هما بوابة المجد والعلواء.

ثم إن تزوير التاريخ جريمة شنيعة؛ إذ هو أغلى ما تملكه الشعوب، وتحريفه فاحشة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ومما يزيد المتابع حزناً أن المزورين تصفوا في كذبهم الضج الصريح على التاريخ حتى غدت صعبة شاقة على غير المختص الماهر معرفة الغث من السمين.

كم هو مخجل ومقبت أن يقال: إن قسماً كبيراً من التاريخ لا يكتبه إلا المنتفعون بتزويره وقلبه، ومن أمعن النظر في "مقدمة ابن خلدون" وجد توصيفاً دقيقاً لكتابة التاريخ وقارئيه، ومما قال في مطلع مقدمته الرائعة: "... فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب قليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الأديمين وسليل، والتطفل على الفنون عريض طويل، ومرعى الجهل بين الأنعام وخيم وبيل، والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملئ وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تعقل، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل، هذا وقد دون الناس في الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطروا، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والإمامة المعترية، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صفهم المتأخرة؛ هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنام ولا حركات العوامل... والتأخذ البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم...".

إعداد: التحرير



(البقرة: ٢٥٦) كذلك قوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦)، وإنا لنسأل سؤالا نريد إجابة عليه من هؤلاء المفترين، من أجبر على الإسلام في عهد النبي ﷺ؟ لقد كان النبي ﷺ يعرض الإسلام على الرجل فيقول له أتؤمن بي فيقول: لا، فيتركه، رغم أنه كان بالمدينة وكان للمسلمين شوكة ومنعة، والأعجب من ذلك أن النبي ﷺ وافق على رد من جاءه مؤمنا من قريش وفاء لعهد مع المشركين في صلح الحديبية، وكذلك أكد النبي ﷺ على احترام العهود مع غير المسلمين وعدم إيذائهم، فقد روى السيوطي في الجامع الصغير عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أذى ذمياً فأنأ خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» (٣)، وجاء في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» (٤). وسار الخلفاء الراشدون- رضي الله عنهم- على مثل هذا الدرب في فتوحاتهم، فقد أوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه- أحد قادة الفتح الإسلامي لبلاد الشام قائلاً: «إنك ستجد أقواماً حبسوا أنفسهم لله- يعني الرهبان- فذرهم وما نذروا أنفسهم له، وإنني أوصيك بعشر، لا تغدر ولا تمثل، ولا تقتل هرباً ولا امرأة ولا وليداً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً، ولا تحرقوا نخلاً، ولا تخربوا عامراً، ولا تغلوا، ولا تجبنوا عند اللقاء»، ويمضي الفاروق عمر بن الخطاب على

## المتعصبون من الغرب يدعون أن الإسلام أجبر الناس على اعتناقه بإرهابهم بحد السيف

بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والها وإلهمك واحد ونحن له مسلمون» (العنكبوت: ٤٦)، ورغم كل ذلك فقد تسبب اليهود في إيذاء المسلمين، فكشفوا عورة امرأة مسلمة، وحاولوا قتل النبي ﷺ في بني النضير، وخان بنو قريظة العهد بموافقتهم على دخول أحزاب المشركين من تجاههم ليحتلوا المدينة المنورة، فكان طردهم وإجلاؤهم عن المدينة، بل عن الجزيرة العربية كلها جزاءً وفاقاً لأعمالهم الدنيئة ونياتهم الخبيثة، والبادئ أظلم.

### الفتوحات الإسلامية وفرية حد السيف

لقد ركز الغرب والمتعصبون من المستشرقين فيه على أن الإسلام أجبر الناس على اعتناقه عن طريق إرهابهم بحد السيف، وحملهم على الإيمان، ولكنها فرية يدحضها القرآن الكريم الدستور الأساسي للمسلمين الذي يقرر حقيقة إلى يوم الدين قائلة: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾



### تعاون غريب

معلوم أن الشرك يتناقض مع الإيمان، وأن أتباع الدين وأهل الكتاب لا يلتقون مع من يعبد الأصنام، إلا أنه رغم كل ذلك، وبعد أن قويت شوكة المسلمين وهاجروا إلى المدينة، بدأ هذا التعاضد والتعاون بين أهل الكتاب من اليهود وبين المشركين على الكيد لكل من يدخل في دين الإسلام، بل الكيد لنبي الإسلام نفسه، وناقض أهل الكتاب أنفسهم، حيث كانوا يتوعدون المشركين باتباع نبي آخر الزمان ويقتلونهم معه قتل عاد وإرم، إلا أن كل ذلك ذهب أدراج الرياح نتيجة للغل والحقد والحسد والكراهية المكنونة في صدورهم تجاه الإسلام ونبيه، قال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق..﴾ (البقرة: ١٠٩) وحاول اليهود اغتيال النبي ﷺ عدة مرات ولم تفلح محاولاتهم.

### معاهدات حسن الجوار وإجلال أهل الديانات السماوية

لقد أوجب الإسلام على أتباعه أن يؤمنوا بجميع الرسل التي سبقت بعث النبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله..﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وفي الحديث الصحيح المشهور ﴿الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾، وقد ترجم هذا الإيمان إلى إظهار حسن النوايا والمعاملة من قبل النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة، وكان بالمدينة



## معظم الشعوب كانت ترحب بالإسلام أيام الفتوحات لتنجو من عسف الفرس والروم

التاريخ وسرده يذكر صراحة أن الفرس كانوا يستعبدون كل من يدخل تحت إمرتهم وولايتهم، فسام الرومان أهل مصر سوء العذاب وأذاقوا أهل الشام الويلات، وحدث الأسوأ في البلاد التي كانت تحت إمرة الفرس مثل العراق، لذلك سارع أهل مصر والشام وشمال إفريقيا وبلاد فارس بالدخول في الإسلام، لأنهم رأوا منه عين يقين العدل والمساواة، فقد جاء على لسان «جوستاف لوبون» المفكر الفرنسي في كتابه «حضارة العرب»: وما كانت انتصارات العرب لتممي أبصارهم لأول أمرهم، وتحملهم على الإفراط المألوف عن الفاتحين في العادة، ولا اشتدوا في إرهاب المغلوبين على أمرهم، ولا فرضوا عليهم بالقوة دينهم الجديد الذي كانوا يريدون بثه في أقطار العالم، ولو عملوا ذلك لأهاجوا عليهم جميع الشعوب التي لم تخضع لهم.. ثم يقول: إن الأوضاع والأديان لا تفرض على الناس بالقوة، ورأيانهم حين دخلوا الشام ومصر وإسبانيا يعاملون الشعوب بمنتهى الرفق تاركين لهم أنظمتهم وأوضاعهم ومعتقداتهم غير ضارين عليهم في مقابلة السلام الذي ضمنوه سوى جزية ضئيلة كانت على الأغلب أقل من الضرائب التي كان عليهم أدائها من قبل» (٩). وكانت معظم الشعوب ترحب بالمسلمين الفاتحين وتتضمن إليهم لتنجو من عسف الفرس والروم، فقد كتب المسيحيون في الشام إلى أبي عبيدة وهو في معسكر في «فحل» يقولون: يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف

حق الأمن عن غير المسلم إلا إذا أراد إيقاع الضرر بالمسلمين كأن يكون جاسوساً أو عيناً على المسلمين. وفي عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب (عليه السلام) أتى برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فقامت عليه البينة، فأمر بقتله، فجاء أخوه فقال: إني قد عفوت، فقال، فلعلهم هددوك وفرقوك، قال: لا، ولكن قتله لا يرد عليّ أخي، وعوضوا لي ورضيت، قال له: أنت أعلم من نان له ذمتنا فدمه كدمنا، ودينه كديننا، وفي رواية أنه قال: إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا، وقد صح عن عمر بن عبدالعزيز (عليه السلام) أنه كتب إلى بعض أمرائه في مسلم قتل ذمياً فأمره أن يدفعه إلى وليه، فإن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، فدفع إليه فضرِبَ عنقه (٨).

### أحوال قبل الفتح الإسلامي

إن المنصف في تسجيل

من كلام الله حتى تقوم عليه الحجة، فإن استجاب وآمن كان من المؤمنين، وإن استحب العمى على الهدى فلا سلطان لأحد عليه ولا سبيل لأحد عليه أن يناله بضر أو أذى، بل على المؤمنين أن يحرسوه حتى يصل إلى المكان الذي يأمن فيه بين أهله وعشيرته» (٦). وقد روى البخاري في التاريخ أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «من آمن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافراً»، وروى البخاري ومسلم في صحيحهما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»، وروى عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه بلغه أن بعض المجاهدين قال لمحارب من الفرس: لا تخف، ثم قتله، فكتب - (عليه السلام) - إلى قائد الجيش أنه بلغني أن رجلاً منكم يطلبون العلق (٧) حتى اشتد في الجبل وامتنع، يقول له: لا تخف، فإذا أدركه قتله، وإني والذي نفسي بيده لا يبلغني أن أحداً فعل ذلك إلا قطعته عنقه. فلا يسقط

نفس الهدي الإسلامي، فقد عرف عنه - رغم شدته وقوته في الحق - الوفاء بالعهد خاصة مع المعاهدين والمسلمين من أهل الكتاب، فحينما تسلم مفاتيح بيت المقدس، وكان جالساً في صحن كنيسة القيامة، حان وقت الصلاة، فخرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده، ثم قال للبطريرك: «لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي» وقالوا: هنا صلى عمر، ثم كتب لهم كتاباً جاء فيه: «هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها، كما أوصى جيوش الفتح قائلاً لهم: «امضوا باسم الله على عون وتأيد من الله، وما النصر إلا من عند الله، والزموا الحق والصبر، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الغلبة، ولا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا وليداً، واحذروا قتلهم» أي الشيخ والمرأة والوليد - إذا التقى الجمعان وعند شن الغارات». وقد أقر الإسلام حق الأمن لكل الناس حتى للمشركين، قال تعالى: «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون» (التوبة: ٦). من أجل هذا الأمر فقد وضع لنا القرآن الكريم أن المسلم يستجيب لدعوة من يطلب منه الأمان حتى يسمع كلام الله الذي أنزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويعطى الوقت الذي يسمح له بالنظر والتدبر فيما سمع





ينشر وما يوجد ضد الإسلام من سهام، ولدينا الوسائل الرسمية والإعلامية التي تجعلنا ندود عن إسلامنا، ونرفع الظلم عن تاريخه الناصع البياض الذي ما سعى إلا لإسعاء البشرية وتحقيق العدل والمساواة والسلام والتعايش بين بني البشر، فليفعّل كل منا ما استطاع فعله من أجل رفع الظلم عن الإسلام في إطار من الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن.



بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا.

كذلك رحب القبط في مصر بالفتح الإسلامي ولقوا من عمرو بن العاص أعظم التسامح لأنه أنقذهم من الاضطهاد الديني ومن عسف الروم وبتكليفهم بمخالفهم في المذاهب، ولم يحدث في عهده ولا عهد من بعده أن ضغط على أحدهم ليرتد عن دينه، بل إن بعضهم أسلم قبل أن يتم الفتح، وما زال التاريخ يقص علينا أن عمراً كتب للقبط بعد فتحه حصن بابليون كتاباً يقضي بحماية كنيسهم ولعن أي مسلم يخرجهم منها.

ولقد ذاق تلك الدول قبل الفتح الإسلامي الولايات والولايات، ويذكر التاريخ أن المصريين حينما اعتنقوا النصرانية عام ٢٠٢م نكلت بهم الدولة الرومانية الوثنية، وقتلهم حتى ملأت دماؤهم شوارع الإسكندرية. وفي عام ٣٠٤م نكل الإمبرطور «دقلديانوس» بالقبط، فنفي بعضهم من مصر، ورمى بعضهم للوحوش الضارية في حلقة الألعاب، وطوح في السجون بالآلاف، وهدم كنائسهم، وبلغ عدد من قتلوا في عصره مائة وأربعين ألفاً، وتوالت العصور على القبط في مصر وعانوا أشد المعاناة فحرموا من الوظائف، وفرضت عليهم الضرائب، وحظر عليهم الاجتماعات العامة، ولا تقبل شهاداتهم.

### الغزوات والفتوحات لم تكن سفكا للدماء

هذا ما يدعيه الحاقدون، وأنا لنسألهم سؤالاً كم أعداد القتلى في الغزوات؟ وكم عدد

القتلى في الحرب العالمية الثانية؟ لقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية أن عدد من قتل في الحربين العالميتين أكثر من ستة ملايين وأربعمائة ألف نفس، أما أعداد من قتل في جميع الغزوات لا يتجاوز ألفاً وخمسمائة شخص، هذه الغزوات التي كان هدفها الأول نشر العدل وتأمين حرية الفرد وتحقيق المساواة بين الناس، ورفع الظلم عنهم بغض النظر عن معتقداتهم وملتهم، والتاريخ يذكر أن الفاتحين من المسلمين كانوا يتركون أهل البلاد من المسيحيين والوثنيين يزرعون أرضهم ويسكنون دورهم دونما إكراه لهم على الدخول في الإسلام، وعجبا لهؤلاء المزورين للتاريخ الذين يغضون الطرف عن محاكم التفتيش في أوروبا والحروب الصليبية على بلاد الشام، والاجتياح المغولي لبلاد فارس، وما يحدث من اليهود في وقتنا الحاضر الذين يستولون على الأرض ويستبيحون الأعراض ويدنسون المقدسات، ويعربدون وقتما شاؤوا ولا يستطيع العالم أن يوقفهم أو حتى يحملهم مسؤولية جرائمهم.

### الإسلام قادم

هذه حقيقة يعلمونها جيداً، لذلك تجدهم في فزع ورعب، والإحصاءات تؤكد أن أتباع الإسلام في زيادة مستمرة، خاصة في دول الغرب رغم ما يفترونه على الإسلام، ولكن علينا نحن المسلمون أن نضاعف الجهد لنزيل الغشاوة التي رانت على قلوب وأعين هؤلاء تجاه الإسلام بسبب ما يكتب وما

### الهوامش

- ١- السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٥٠١ (بتصرف) - دار آشور للطباعة والنشر.
- ٢- الأموال للحافظ بن سلام ص ١٨٢ - مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٣- الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٥٤٧ - دار الفكر العربي.
- ٤- مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ١ ص ٢٩٣
- ٥- عبرية عمر للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١١٩ - ١٢٠.
- ٦- التفسير القرآني للقرآن - الشيخ عبد الكريم الخطيب ج ١ ص ٧٠ (بتصرف).
- ٧- العلاج بكسر العين وتسكين اللام هو الرجل غليظ الطبع من أهل الكفر، والجمع «علاج».
- ٨- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي - د. يوسف القرضاوي ص ١٢، دار غريب للطباعة.
- ٩- أضواء على جوانب من الحضارة الإسلامية - الشيخ منصور الرفاعي عبيد ص ٢٠ - ٦١ مطبعة العاصمة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٠- الأغاني للأصفهاني ج ١٩ ص ١٠٢، وانظر كتاب سماحة الإسلام للدكتور أحمد محمد الحوفي ص ٦٣ ط ١٩٩٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ١١- سماحة الإسلام، د. أحمد محمد الحوفي ص ٧٦-٧٨ (بتصرف) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٩٧ - مكتبة الأسرة.